

فضل أطباء العرب على أوربا في القرون الوسطى

د. عبد اللطيف ياسين *

● تقديم لا بد منه :

يجب عليّ القول منذ البداية أنه قد تكون ثمة معلومات في محاضرتي غير جديدة، وبعض المثقفين ملمون بها، بيد أن هدفي من المحاضرة ليس تقديم معلومات بالدرجة الأولى، انني أهدف من محاضرتي الى أن نتذكر كباراً وصغاراً، خاصة جيل الشباب، أنه لا داعي لأن يكون ثمة أي مركب نقص - من أي نوع - لدى المواطن العربي تجاه شعوب أوربا وأمريكا • انهم - سواء اعترفوا أم لم يعترفوا - قد أقاموا تقدمهم العلمي والفكري والفلسفي على أسس الثقافة العربية الإسلامية ومن ثم فالفضل الأول للنهضة الأوروبية، ومن ثم الأمريكية، هو لنا بيد أن هذا لا يكفي فخرًا • ذلك أنهم عادوا فجعلوا كل الفضل لهم لأنهم حين استيقظوا واستنفروا طاقاتهم للابداع في كل المجالات، كنا - نحن العرب والمسلمين عامة - نغط في سبات عميق، ومن المؤكد أنه حتى نهاية الأربعينات كنا منومين اجبارياً تقريباً • بيد أنه بعد هذا التاريخ لم يعد لنا من عذر لنلحق بركب الحضارة الحديثة ونكون من صناعها وليس من مستورديها أو مستهلكيها، على الرغم من وجود عقبات كثيرة تضعها أيد أجنبية وبعض النفوس الصغيرة التي لا تغلو منها أمة •

إن محاضرتي عن تاريخ أمتنا وماضيها في الطب وفضل الأطباء العرب على الطب في أوربا في القرون الوسطى من خلال ذكر مسيرة علماء وأطباء عظماء لا لتمجيد

(*) طبيب، وباحث في العلوم التراثية •• من دمشق •

الفرد العربي ودوره البطل ، مع أنه من الصعب إلغاء هذا الدور ، ولكن بعد تشذيبه وتهذيبه حتى تواكب الفردية العربية مقتضيات العصر ، عصر الأمم الكبيرة ، والغاية العالمية السائدة التي تدعونا للالتحام والانصهار والتكاتف لنفلت من قبضة الشر المحيق بنا .

لقد سيطر هؤلاء العباقرة العرب بعقولهم النيرة ونفوسهم الطاهرة المخلصة على حضارة أوربا فترة طويلة من الزمن ، فما الذي ميزهم عن مفكري العصور العربية الأخرى ، فالمادة السنجائية والنخاعية البيضاء واحدة ، لكن كما يبدو النفوس المعنية هي التي تغيرت .

إن استعادة ذكراهم ليست بكاء على الاطلال ، فنحن كما قال أحدهم : لانؤمن بالفتى الذي يقول كان أبي ، بل نؤمن بالذي يقول ها أنذا ، بيد أنه مع الأسف ، أصبحت ها أنذا مصهورة مغلوبة على أمرها مليئة بالعقد والايحاءات الخارجية ، فاقدة شخصيتها تابعة وليست سيدة نفسها .

فها أنذا هذه بحاجة الى دفع ، الى إثارة جدية ، الى تذكير بماض عريق كي تنهض ، وتتذكر وترفض التبعية . وتعيد نشأتها وتتخلص من ماديتها وغرائزها ، وهوى المذهب الذرائعي .

فاذا أردت استعادة ذكرى تاريخنا وشخصيتنا فليس لكي نرتد الى الماضي ، بل لنملك القدرة على التواصل ومواجهة المستقبل ، ومن هنا كانت الحاجة الى اعادة كتابة التاريخ على الرغم من تخوف بعضهم من أن هذه الاعادة نابغة من ايحاء خارجي ، هدفه اصابتنا برد فعل ينتهي بنا الى احباط وتقوقع .. لا .. فالايعاءات المعادية لأمتنا والحاقدة عليها ، موجودة منذ قدم التاريخ ، ولم تكن لتؤثر على تلك النفوس الجبارة الواثقة من نفسها ومن صدقها وتصميمها ، لكن استطاعت هذه الايعاءات ، للأسف الشديد ، أن تؤثر في بعض منا ، لا لأنها قوية وصعب صدها بل لأن بعض النفوس ضعفت وهشت ، وأصبح لديها الاستعداد لتقبل وتنفيذ ما تحمله لها تلك الايعاءات .

إذاً يجب أن نعيد كتابة التاريخ القديم لنصحو من كبوتنا واحتضارنا على الرغم من المظاهر اللماعة والقشرة البراقة للحضارة التي نعيش فيها ، ولنتحرر

من كل التبعية خاصة التبعية الفكرية التي نجمت عن ضياع الذات والفراغ
الفكري .

يجب أن نتخلص من التبعية الفكرية التي دخلت الى الوطن العربي في العصر
الحديث قبل دخول جنود الاستعمار ، وترسخت في بلدان العرب قبل ترسخ
رجال السياسة والادارة الاستعمارية .

ومما لا شك فيه ان التاريخ ينبه العقل ويوقظ الضمير ، ويحرر الذات ،
ويعطي دفعا قويا الى الأمام . كما تعتبر كتابة تاريخ العرب وتراثهم شرطا أساسيا
للنهضة ، ولتكوين الانسان العربي الجديد المتمسك بأصالته والمتحرر من الأوهام ،
والمالك الحس النقدي . والذي لديه الاستعدادات للتطور والعطاء الحضاري
وللتخلص من ربة التبعية بأنواعها .

ان كتابة التاريخ والرجوع الى التراث ضرورة بالمعنى الذي ذكرته ،
لأن أسوأ ما تصاب به أمة أن تكون بلاذاكرة ، وبلا أصالة ، حيث لا أصالة بلا
تراث ، لأن الحضارات كلها لا تأتي فجأة . وانما تتنامى طبقات متواليات في البناء ،
ورواسب متراكمة في صدور الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ، واتجاه ضمائرهم
نحو الأفضل وصحة رؤاهم .

★ ★ ★

المقدمة :

تمتد القرون الوسطى حسب رأي أكثر المؤلفين من سقوط الامبراطورية
الرومانية ، في القرن الخامس ، الى أواسط القرن الخامس عشر . تتناول
هذه الفترة ألف سنة تقريبا ، ظهر فيها الاسلام وتأسست حضارة عربية تميز
فيها الطب بشكل خاص ، وقد عرفت هذه النهضة الطبية بطب العرب في القرون
الوسطى . وأول ما قامت الدراسات الحديثة حول تاريخ الاسلام وحضارته ، قامت
في أوروبا الغربية في وقت تحكم فيه التفكير القومي العنصري لذلك عندما
أقدم بعض أوائل المستشرقين على البحث في الفلسفة العربية مثلا ، نفوا وجود
شيء من هذا القبيل ، وقالوا بوجود فلسفة اسلامية ، أنتجها فلاسفة مسلمون
من أصل غير عربي ، وفي هذا مغالطة عنصرية كبيرة ، لأنه لا يجوز الفصل بين

العروبة والاسلام ، حيث لا يمكن فصل القلب عن الجسد . ثم ان نتاج الحضارة الفكري وسواه مما دون بالعربية هو عربي اسلامي وليس غير ذلك ، هو نتاج بلا شك مرتكز الى ما أنتجته الأمم الأخرى ، ومستفيد منها ، انما أخرج وفقاً لمقاييس عربية ، وعالج قضايا ارتبطت بالمجتمعات العربية الاسلامية .

وقد حاول بعض المستشرقين أيضاً أن يطمس هذا التاريخ فقال : « ان العرب كانوا ناقلين ومترجمين عن أبوقراط وجالينوس ، وان الطب العربي طب منقول عن اليونان والهند والفرس ومصر ، وليس فيه جهد ابداعي ، أي بمعنى آخر لم يكن العرب الا وسطاء وليس عندهم روح الانتاج الجديد ، والتأليف . وهو افتراء ، تكذبه في الطب مثلاً مخطوطات الرازي وما جاء فيها من تصويبات كثيرة لأبوقراط وجالينوس ، وكذلك تكذبه ابداعات ابن الهيثم في البصريات وليس العكس .

وقد ظلت أوروبا حتى أوائل القرن التاسع عشر لا تعرف الا الأقرباذين العربي ولا تعتمد في طبها الا على مخطوطات ابن سينا والرازي والزهرراوي وابن النفيس ، وما زالت أوروبا تسمي بعض المركبات الكيميائية بأسمائها العربية فالطرطير هو Tartar والبورق هو Ac. Boric والكحول هو Alkohol والشراب هو Sirup . وغيرها من كلمات أخرى في مجالات متنوعة ؛ كالسمت Zenith والنظير Nadir والسمت Azimut والجبر Algèbre والخوارزمي Algorithme وأخيراً وليس آخراً الصفر Chiffre .

وكانت الحضارة العربية الاسلامية هي الجامعة التي أخذت عنها أوروبا علومها الطبية في عصورها الوسطى المظلمة . وقد لاحظ اسامة بن منقذ مؤرخ دمشق الفرق بين الطب العربي المتقدم وبين الطب الأوروبي البدائي فيقول :

« ومن عجيب طبهم أن صاحب المنيطرة (في جبل لبنان) كتب الى عمي (سلطان أمير شيزر) يطلب منه انفاذ طبيب يداوي مرضى من أصحابه ، فأرسل اليه طبيباً نصرانياً يقال له ثابت . فما غاب عشرة أيام حتى عاد فقلنا له « ما أسرع ما داويت المرضى ! » قال : « أحضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دملة وامرأة قد لحقها نشاف . فعملت للفارس لبيخة ففتحت الدملة وصلحت .

وحملت المرأة ورطبت مزاجها . فجاءهم طبيب افرنجي فقال لهم « هذا ما يعرف شيئاً يداويهم » ، وقال للفارس « أيماً أحب اليك : تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين ؟ قال « أعيش برجل واحدة » قال « احضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعة » فحضر الفارس والفأس وأناحاضر ، فحط ساقه على قرمة خشب وقال للفارس « اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة واقطعها » فضربه وأنا أراه ضربة واحدة ما انقطعت . ضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ومات من ساعته . وأبصر المرأة فقال « هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها ، احلقوا شعرها ، فحلقوه ، وعادت تأكل من مأكلم الثوم والمخردل أفراد بها النشاف . فقال « الشيطان قد دخل في رأسها » فأخذ الموسى وشق رأسها صلباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح ، فماتت في وقتها . فقلت لهم « بقي لكم الي حاجة » قالوا « لا » ، فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم أكن أعرفه .

لقد أثبت العرب منذ القرن التاسع للميلاد أنهم قد ملكوا الطريقة العلمية الصحيحة ، وليس بصحيح القول انهم ما أتوا بشيء جديد ، حيث أجاب الفيلسوف الألماني هومبولد عن هذا بقوله :

« ان العرب لم يقتصروا على حراسة كنز المعرفة الذي عثروا عليه بل أضافوا اليه ووسعوه وفتحوا طرقاً جديدة للبحث في أسرار الطبيعة » . وكتاب المستشرق الألمانية زيفريد هونكه « شمس العرب تسطع على الغرب » ، من أوائل الكتب التي كذبت ادعاء الغربيين الحاقدين ، حتى أن دانتي ذكر في ملحمة الملهاة الالهية أبقرراط وجالينوس وابن سينا . طرق انتقال الحضارة العربية الاسلامية الى الغرب :

كان عالم الغرب في أوروبا قبل القرن الميلادي العاشر في جهل مطبق الى أن احتك بالعالم العربي وأخذ عنه بذور النهضة فأشرق فيه نور العلم ، ولقد تم هذا الاحتكاك في ثلاث جهات :

١ - الحروب الصليبية .

٢ - صقلية .

٣ - اسبانيا .

١ - انشاء المكتبات والفهارس :

فابن النديم ، على سبيل المثال ، نشر وحده ، في بغداد ، فهرساً للعلوم يضم أسماء جميع الكتب التي صدرت في الفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعية والكيمياء والطب . كما وجد في الأندلس ، زمن الخليفة الحكم الثاني نصف مليون كتاب قيم في العلوم ، وفي القاهرة أيضاً مليون من المجلدات ، ويمكن قول ذلك في دمشق والقروان وغيرها .

وهكذا اجتاحت موجة الثقافة العربية الغرب حاملة في ثناياها العلوم اليونانية كلها ، والعلوم الشرقية . فكان فعلها على العالم عظيماً . ولهذا كان للعرب الفضل في تثبيت جذور الحضارة الأوروبية ، ليس فقط في الطب بل في جميع العلوم على اختلاف أنواعها .

وقد كان لبعض المدارس والجامعات الغربية التي تأثرت بالثقافة العربية شأن عظيم ، في النهضة الطبية في أوروبا ، ونخص من هذه المدارس بالذكر مدرسة سالرنو ومونبلييه وبولونيا وبادوا وغيرها .

لقد كانت مؤلفات العرب الطبية هي المعتمد عليها في المدارس الفرنسية والغربية ولم تزل الحالة هي هي حتى القرن السادس عشر ، حيث أخذ الغربيون يترجمون أبقراط من اليونانية مباشرة ، ولم تحذف مؤلفات العرب من برامج التدريس الا في أواخر القرن السادس عشر .

وكما كان الأطباء يذهبون من الغرب الى الشرق طلباً للعلم والممارسة كان الأطباء يذهبون من الشرق الى الغرب قاصدين علماء العرب في اسبانيا وقد اجتمع في خزانة قرطبة زهاء ستمائة ألف مجلد في فهرس يقع في أربعة وأربعين مجلداً . وكان بين دوائر التدريب في هذه الجامعة (قرطبة) دوائر للطب والفلك والرياضيات ، والعلوم الدينية والشرعية ، وبلغ عدد الطلاب المنتسبين اليها بضعة آلاف ، وأصبحت شهاداتها سبيلاً للوصول الى أسمى المراتب وأرفع المناصب وكانت النساء شقيقات الرجال في اقتحام الحصون العلمية فاشتهر منهن في الأدب والطب ، حتى في الفروسية ، عدد كثير .

مصادر الطب العربي :

وفي الحقيقة بنى العرب هياكل علومهم الطبية عن الطب الاغريقي ، فأخذوا كثيراً عن جالينوس وجعلوه أستاذهم ، وألموا ببعض الطب الفارسي والهندي لكنهم كيفوا الطب حسب حاجاتهم ، وأضافوا اليه كثيراً فأغنوه وتوسعوا به ، واتبعوا طرقهم الخاصة ، وأساليبهم العلمية الرصينة ، وقاموا بالأبحاث ، وتطبيقاً لأمانتهم العلمية نسبوا للاغريق كل ما ترجموه عنهم أو أخذوا منهم . وهم الذين أغنوا التراث الاغريقي وخلدوه ، وقد نشروا علومهم وثقافتهم التي كانت هي الأساس القوي للنهضة العلمية والحضارية في أوروبا ، لكن علماء الغرب لم يكونوا مثلهم ملتزمين الأمانة العلمية فأنكر كثير منهم على العرب انجازاتهم الطبية ، بل لقد حاول كثيرون منهم التعتيم على الحضارة العربية الاسلامية ، بعد أن عرفوا من روائعها ونهلوا من فضلها . حيث وجد الكثير من الكتب الهامة التي ترجمت الى اللاتينية واللغات الأخرى لا تحمل اسم المؤلف الأصلي ، وكان يحذف هذا الاسم من غير ذكر جنسيته أو دينه فكتب الجراح أبي القاسم الزهراوي المترجمة كانت تحمل اسم بال كازيز Bulcasis وكتب أبي بكر الرازي المترجمة كانت تحمل اسم ريزر Rizès لكن الأمناء والمنصفين من الكتاب الغربيين كانوا يتحرون الحقيقة ويقدمونها ويذكرون الأثر الكبير المضيء الذي تركه العرب في تقدم الطب والعلوم الأخرى .

قال المؤرخ الكبير جرمان من مونيكية :

« اننا نشهد للكتاب العرب الذين كتبوا في المواضيع العلمية بمزية الايضاح التام ، والطريقة التعليمية ، لأن هؤلاء العرب الذين يرجعون الى نتاج قديم من مدينة اليمن كانت فيهم قابلية عظيمة للثقافة العليا ولم يكن فيهم شيء من البربرية » .

كما قال الأستاذ فورغ - الذي لمع اسمه في بداية القرن العشرين ، لا في فرنسا فحسب بل في العالم الغربي كله - في خطاب تذكاري ألقاه في إحدى الجامعات الاسبانية :

« ان اسبانيا أرض قائمة بنفسها ، يتحلى أهلها بسرعة الفكر والاستعداد

للنضال ، مما يجعل هذه الأمة فريدة في بابها ، ويرجع ذلك الى استيلاء العرب على اسبانيا ، واختلاطهم بشعبها اختلاطاً دمويّاً أدى الى السير بأوروبا في مضمار التقدم ، مما دعا ليبيري الى القول : «احذف العرب من التاريخ يتأخر عصر التجدد في أوروبا عدة قرون» .

تأثير المرأة العربية في مزاوله الطب :

ولم تتوان المرأة العربية عن المساهمة في الخدمات الاجتماعية ، وكان على رأس الخدمات الاجتماعية التي برزت فيها المرأة التمريض والاسعاف الصحي في السلم والحرب ، وقد أجاز الشرع هذا العمل وحببه الى النفوس ، فقد نص الامام أحمد على أنه يجوز للمرأة أن تخدم الرجل وتشاهد منه عورة في حال المرض . وقال مثل هذا القول الامام المحدث الحافظ الذهبي .

ولقد ظهر الكثير من نساء الصحابة في صفوف القتال يضمدون الجرحى ويسقين العطاش ، ومنهن أم سليم رضي الله عنها .

وكان يطلق اسم الآسيات على النساء العربيات اللائي يعملن في تضميد الجراح ، وجبر العظام والوقاية من النزف ، وكن يسرن الى المعارك مع الرجال جنباً الى جنب ، حاملات أواني الماء وما يحتاج اليه الجريح من اللفائف والجبائر وغير ذلك وكنّ ينفذن بين الرجال مسعفات معالجات ، ومنهن من كن يشتركن في القتال ، وكانت لهن مواقع مشهورة .

وسأذكر بعضهن على سبيل المثال : ربيعة الأسلمية ، أمينة بنت قيس الغفارية . أم سليم ، أم سنان الأسلمية ، أم عطية الانصارية ، نسيبة بنت كعب المازنية ، زينب طيبة بني اود ، والشفاء بنت عبد الله التي اشتهرت في معالجة الاكراما وغيرهن .

إنشاء العرب للمشافي :

وقد سبق - العرب العالم في ابتكار نظام المستشفيات والاهتمام بالمرضى ومعالجتهم . وقد تبارى الخلفاء ووزراؤهم وسلاطين العرب وملوكهم وذوو الجاه والثروة والعلم في إقامة هذه المستشفيات وتحسينها ، فكانت فيها المشافي العامة

والمشافي الخاصة ، التي اشتهر من هذه الأخيرة المجاذم والبيمارستان اضافة الى المشافي العربية المتنقلة ، ومشفى الاسعاف الأولي ، والمشافي الحربية . وقد اعتمد الغرب بعدئذ هيكلية المشفى العربي بوصفه نموذجاً لبناء مستشفياته . وقد أدخل المقتدر طريقة المشافي المتجولة ، كما طور في عهده أيضاً سنان بن ثابت بن قره خدمات المشافي لتشمل الأحياء المجاورة والسجون والأماكن الشعبية ، وكان بذلك رائداً في تطبيق التأمين الصحي الطبي الشعبي الذي بدأ الغرب بتطبيقه حديثاً .

يقول الكاتب فستاب : « ان تصميم المشافي العربية كان في تلك الأيام تصميمياً صحياً يراعي شروط التهوية والمياه حتى أن مدرسة ساليرنو كانت تعزى في شهرتها وسمعتها الى الأطباء العرب ، الذين كانوا يمارسون علاج مرضاهم بالطرق العلمية والبحث والدروس في حين كان المرضى في أوروبا يتلقون علاجاً بدائياً » .

وقد أشرف الطبيب العربي سنان بن ثابت بن قره على بناء البيمارستان المقتدري وبيمارستان السيدة . وكان يرأس امتحان أطباء وصيادلة بغداد ، ثم تحولت المستشفيات الى مراكز طبية نشطة وكليات متخصصة تخرج أفواج الأطباء الجدد من جراحين ومتخصصين ، وكانت الكليات مجهزة بقاعات للمحاضرات ومكتبة يتوافد اليها طلاب الطب من أقاصي الدول الاسلامية . ومن المشافي المشهورة أيضاً مشفى النوري في دمشق ، والمشفى الناصري في القاهرة ، حيث تخرج معظم الجراحين العرب فيهما .

ويؤكد ابن القلانسي في « ذيل تاريخ دمشق » تفوق خيرة الجراحين العرب الكبيرة ومداواة الجراح ، حيث كانت الخدمات الطبية التي تقدمها دمشق آنذاك من خيرة الخدمات في العالم .

وكان في دمشق مارستاناً هاماً تلاه بناء مارستان آخر في عام ١١٥٤ م ويصف الرحالة ابن جبير الذي زارهما بعد بضع سنوات يصف سير العمل فيهما فيقول :

« وله [أي المارستان] قَوَمَة بأيديهم الأزمة المحتوية أسماء المرضى ، وعلى النفقات التي يحتاجون اليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك . والأطباء يبكرون اليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل انسان منهم » .

لقد استخدم الأطباء العرب الموسيقى بهدف الترويح عن المرضى والسّعة في شفائهم فكانوا في بيمارستان قلاوون مثلاً يرفهون عن المرضى بالموسيقى وتلاوة القرآن الكريم ، كما كانوا يعطون كل مريض منحة مالية عند خروجه حتى لا يعجل العودة إلى عمله في فترة النقاهة .

وفي الحقيقة كان لهم في ميدان التنظيم الصحي جولات تذهلنا حتى في هذه الأيام ، فالمشافي التي أنشئوها ، والعناية التي كانت تبذل فيها أمر لا نجده عند أية أمة من الأمم ، في تلك العصور ، وقد عبر ابن شاهين في النجوم الزاهرة عن روعة هذه المشافي بقوله :

« لا مثيل لها في الدنيا والمعالجة مجانية وكذلك تعليم الطب » .

لقد اشتهر من الأطباء العرب في فجر الاسلام الحارث بن كلدة الشقي من الطائف وقد تعلم الطب في مدرسة « جنديسابور بأرض فارس » . ورجع إلى الطائف واشتهر طبه بين العرب ، وكان رسول الله ﷺ يوصي بالتطبيب عنده . ومن أجوبة الحارث بن كلدة عن أسئلة كسرى ملك الفرس عندما طلب منه النصيح للمحافظة على صحته :

« لا تغش أهلك سكران ، ولا تقم بالليل عريان ، ولا تقعد على الطعام غضبان ، وقل من طعامك يكن أهناً لنومك » ولما سأله كسرى عن استعمال الدواء ، أجاب : « ما لزمك الصحة فاجتنبه » ، وعن الفواكه قال : « كلها في اقبالها وحين أوانها » . وقد أوجد العرب في دمشق وبغداد ومصر والكوفة وقرطبة جامعات كبرى ، حتى أنهم أنشئوا في كثير من المدن العربية ولا سيما الأندلس مدناً جامعية أشهرها مدينة طلمنكة الجامعية قرب مجريط (مدريد) وكانت الجامعات العربية امتداداً للجوامع وانتشاراً لها يقصدها الراغبون في النهل من مناهل العلم من كل عرق ولون ودين ومذهب . وتميزت جامعات الأندلس وخاصة جامعة قرطبة بتوافد رجال أوروبا عليها ، ومن بينهم البابا سلفستر الثاني فتعلموا فيها وعادوا إلى بلادهم فأصبحوا أساتذة في جامعات باريز واكسفورد وشمال إيطاليا ومونبليه في جنوب فرنسا ، وغيرها من مدن أوروبا الكبرى حيث نشروا العلم

العربي فعم أوربا كلها • وكانت آراء ابن رشد وابن زهر والزهرراوي وابن سينا في مقدمة الآراء التي تقبلها الغرب وتبنّاها •

انجازات العرب والمسلمين في حقل الطب :

وازدهرت أيضاً في المدن الجامعية العربية ولا سيما في الاسكندرية ودمشق وبغداد صناعة نسخ الكتب فاشتعلت جذوة العلم وعم نوره أرجاء العالم • ونكتفي هنا بذكر ماله مساس بالطب حيث تعمق العرب في دراسة الفيزيولوجيا أي علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة وفن الأدوية ، وما زال الكثير من أدويتهم مستعملاً حتى الآن • وعرف العرب التخدير باستعمال البرودة الشديدة، والأعشاب المرقدة ؛ كالحشيش والسكران والداتورا والبلادونا ، كما أقدموا على اجراء عمليات جراحية واسعة ، ابتكروها ونجحوا فيها • وعرفوا طب الأسنان وخلعها وحشوها ، وذكر الرازي سبعة أنواع من المعاجين والمساحيق لعلاج الأسنان وهي لا تخرج في تركيبها عن المعاجين الحالية ، من حيث احتوائها على المواد العطرية ، والمواد المطهرة ، والمواد الحاكّة والمواد القابضة والمواد المزيّلة للروائح • كما عرفوا فتح الضرس بالثاقب واماته عصب الضرس باستخدام الزرنيخ •

وكان العرب أول من استحضر احماض الكبريتيك ، والنيتريك والماء الملكي وايدروكسيد الصوديوم والنشادر ، وتترات الفضة وكلوريد الزئبق ويود الزئبق والانتومان ، كما اكتشف العرب في الكيمياء أيضاً الكحول والبتواس وحامض الليمون ، وكثير من العطور والأرواح والأشربة وغيرها • كما عرفوا صناعة استخراج السكر فيسروا بذلك عوامل الاغتذاء • وعرف العرب بتحضير الأدوية ، ووسائل التقطير والتبخير والترشيح والتصفيد والتذويب والطبخ والتبلور • ويعد العرب أول من عرف خطر التمدادي في الفصد ، العرب أول من خاط الجروح بخيوط مصنوعة من الامعاء (كاتوت) وأول من أقر سراية الأمراض وأحسن وصفها ، من ذلك وصف الجدري والحصبة ، وهم أول من قاوم بعمليات جراحية واسعة على الرقبة والصدر والمثانة ، والعرب هم أول من أسس المكتبات العلمية ، وجعلها سبيلاً لمن أراد أن يتعلم أو يستزيد • وهم أول من صنف

الكتب في علم الأدوية ، وهم أول من أرخ للطب وللأطباء (عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة) ، والحضارة العربية الإسلامية قدمت للعالم ، لأول مرة ، الكتب الطبية الموسوعية ذات الترتيب المنظم والمنهجي ، في حين اقتصر المؤلفات الاغريقية على المختصرات والخلاصات وافتقرت الى الشمولية والبحث المنظم والمنهجي ، وقد صنف الكتب في الطب من العرب ذوو الخبرة والشهرة الواسعة والتمرس والمران في الطب ، وخاصة في المواضيع التي صنفوا فيها الكتب ، في حين ألف المختصرات الطبية الاغريقية بعض الفلاسفة ، والكهنة المعتزلين في صوامعهم الذين لم يمارسوا الطب . وقد ألف العرب في فترة ٨٥٠ - ١٢٥٠ م ما لم يستطع الاغريق تأليفه في ألف عام (من عهد ابقراط حتى عهد بولص) .

وكان ابن سينا أول من غلف الحبوب بالذهب والفضة ، وأول من وصف التهاب السحايا وصفاً صحيحاً ووصف الأمراض التي تسبب اليرقان وفرق بين شلل الوجه الناجم عن سبب عضوي أو غير عضوي كما فرق بين ذات الجنب وآلم الأعصاب بين الأضلاع ، ووصف السكتة الدماغية . وكان الزهراوي أول من حصر الأقراص بالكبس في قوالب خاصة ، وأول من اخترع الجراحة المصورة كما نراها اليوم في كتب الجراحة العملية ، فقد جاء في كتابه الجراحي الشهير نحو مائتي صورة عملية . كما أنه أول من عالج حصاة المثانة بالتفتيت وأول من ربط الشرايين وأول من استعمل السنارة في استخراج الزوائد اللحمية من الأنف ، وأول من استأصل الرضفة وأول من وصف الناعور ، كما أنه أول من عرف بحسنات الوضعية المائلة في العمليات الجراحية التي تقضي بجعل الرأس منخفضاً عن الأطراف ، ونستعملها نحن في عملياتنا الجراحية دوماً ، وقد عزيت معرفتها الى ترانديلنبرغ الجراح الشهير الألماني ، مع أنها من توصيات جراحنا العربي الكبير ، وقد قال فيها قبله بزمن بعيد . كما كانت له محاولات متطورة في علاج البواسير والناسور والأورام السرطانية والفتق . وقد سبق الزهراوي الجراحين بألف عام الى اكتشاف جراحة دوالي الساق بطريقة سل العروق ، وهو أسلوب لم يعرف إلا منذ أربعين عاماً تقريباً .

وفي القرن الثاني عشر عندما ترجم جيزارد الكريموني كتاب أبي القاسم

الزهرابي الى اللاتينية ، فصار كتابه هذا الكتاب المتداول في أيدي الناس ،
ومما يدل على قيمته العظمى أن الأستاذ القديم في دوشاليك من مدينة مونبليه
استشهد بكتاب أبي القاسم أكثر من مائتي مرة . وحسبك شاهداً على رقي الجراحة
العربية ما قاله لانغرانك في أواخر القرن الثالث عشر بعد أن ذهب الى ايطاليا
واطلع على ترجمة مؤلفات أبي القاسم حيث قال عن جراحي باريس بعد رجوعه
اليها : « انهم جهلاء ، ولا يكاد يوجد فيهم جراح عالم بصنعتة ، ولا غرو بعد ذلك
أن ينعت أبا القاسم بأنه أبو الجراحة .

أما الرازي فكان أول من جرب الزئبق على القروود ليرى مفعوله وأول من
استخدم الزئبق في المراهم . وللرازي رأي جيد في علاج الحروق بالماء البارد وذلك
آخر ما توصل اليه العلم الآن في علاج الحروق ، حيث يوضع الذراع أو الساق
المحروقة في الماء البارد مدة دقيقتين ، لتخفيف الألم ولتقليل فقدان البلازما .
وكان الرازي أول من تكلم عن التشخيص التفريقي حينما تختلط الأمراض وتتشابه
علاماتها وأعراضها ، وقد وصف الجهاز الهضمي بدقة . كما وصف تشريح المعدة
وطبقات العضلات المختلفة فيها تماماً ، كما نصفها اليوم . وفرق بين النزيف
المتسبب من القرحة والنزيف المتسبب من بواسير المري . ووصف أقراص الطباشير
للحموضة وهو علاج نستعمله اليوم ، وقدم وصفاً دقيقاً لمرض الكزاز .

أما ابن الهيثم الموسوعي الثقافة ، فقد عمل في الطب أيضاً واهتم بطب
العيون وقد قيل أنه أوصل علم البصريات في زمانه الى أعلى درجة من التقدم .
ويعد أول من كتب عن أقسام العين ورسومها بوضوح تام ووضع أسماء لبعض
أقسامها وما تزال مستخدمة حتى الآن .

وهو من علماء البصريات المشهورين في العالم ، فهو لم يكتف بتشريح العين
وتسمية أجزائها بل فسر آلية الرؤية ، وكان أول من بين أن ذلك يتم من انعكاس
شعاع صادر عن الجسم المرئي الى العين وبذلك خالف متقدميه وعارض النظريات
التي كانت قائمة .

كما درس خواص المرايا بأنواعها وراقب شكل الضوء والأشعة أثناء ولوجها
الى الأماكن المظلمة من ثقب ضيقة ، وشاهد الصورة المقلوبة للظل ، فكان بهذا
الرائد الأول لاختراع الكاميرا .

أما الأسباب التي جعلت العرب متعطشين الى الاطلاع على علوم من سبقهم من الأمم ، حفاظاً لها مبتكرين فيها عاملين على نشرها .

١ - طبيعة العربي فقد خُلق العربي بخاصة محباً للاستطلاع فما أن جاء الاسلام ودان به أكثر العرب حتى رغبوا في اقتباس العلم .

٢ - القرآن الكريم والحديث الشريف اللذان حببا العرب والمسلمين بالعلم حباً جعله في نظرهم أثمن شيء بعد الايمان .

٣ - تشجيع الخلفاء الراشدين الناس على طلب العلم وتعليمه ، فقد روي عن علي رضي الله عنه قوله : « كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً للعلم ولا تكن الخامس (أي جاهلاً) فتهلك .

٤ - استعرااب الأمم التي انفتحت قلبها للاسلام فأمنت به وأعجبت باعجاز قرآنه وبلاغة حديثه . فصدت عن التأليف في لغاتها الأصلية ، وألفت فيما عدته لغة العلوم حينها ، لغة العرب وأصبحت تعد نفسها عرباً مستعربة ، تنافس العرب العاربة .

وكان موجهها الى هذا الاتجاه ما دعت اليه فتوحات العرب من اخاء ومساواة وعدالة ومعاملة بالحسنى وتسامح لا حد له . مما يصح معه أن يقال أن العرب والمسلمين فتحوا القلوب ، وفرجوا عن سكان البلاد التي افتتحوها الكروب ، فدان بمعتقداتهم جلها ، ومن لم يؤمن بها قدرها فاحترمها ولم يتوان عن خدمتها وخدمة المؤمنين بها ، وهكذا استعرب في ذلك الحين كل مسلم كما اعتز بالاستعرااب غير المسلم وفخر بعرويته كل عربي ، وكان القرآن الكريم والحديث الشريف وجها الدنيا والعالم لقومية العرب فبرهان الاسلام فيهما وديانتهم أحيطت بهما . وقد أخلص هؤلاء من عرب مسلمين وغير مسلمين أو مستعربين أو مفتونين بلغة العرب للعلم فأسهموا في نقله ونشره والتأليف فيه .

لقد تحققت حركة التأليف والنقل في الطب عند الأمويين أثناء حكمهم للملك امتد ما بين سمرقند وأقاصي الأندلس ، وكانت دمشق منارة يشع نورها على أرجاء واسعة لا بل العالم كله حيث احتلت الثقافة العربية مركزاً لا مثيل له في

التاريخ . لقد وجد الأمويون في المدارس السورية ومدرسيها ، التي كان يرعاها السريان ، ما يحقق غاياتهم ، وان أول من أمر بالترجمة خالد بن يزيد بن معاوية ، كما يروي أكثر المؤلفين ، وفي زمن مروان بن الحكم فترجم « ماسرجويه » كتاب أهرن في الطب ، الذي تم نشره في عهد عمر بن عبد العزيز . وقد اقتبس العباسيون الطب عن الفرس والهنود ، ولا سيما اليونان والسريان منذ عهد المنصور . وكان عصر هارون الرشيد عصرأ ذهبياً فأصبحت فيه بغداد عاصمة العالم في الثقافة والسياسة والاقتصاد ، وأنشئت فيها دار الحكمة التي تحولت من خزانة للكتب الى مؤسسة للترجمة والنشر .

كما كانت بلاد الخلافة العباسية في عهده أغنى وأقوى دولة في الأرض ، ففي عاصمتها بغداد ألف طبيب مجاز ، ومستشفى كبير مجاني ، ومصلحة بريد منتظم ، وشبكة مياه ممتازة ، وأخرى متصلة بمنافع المنازل لتصريف مياه الخدمة ، ومصنع للورق ، ولسوف يتعلم الغربيون الذين لم يكونوا يستعملون غير الرق للكتابة قبل دخولهم بلاد الشام ، سوف يتعلمون فن صناعة الورق من تبين القمح ، لقد نشط الخليفة هارون الرشيد العلوم بجميع الوسائل ، وتبعه في ذلك وزرائه بل زادوها تبسطاً في الأبحاث وتوسعاً في العلاج ومهارة في الجراحة والتشريح وخبرة في العقاقير وتركيبها ، ومعرفة في الكيمياء وتحليلها . وكان المأمون ذا ولع خاص بالطب ، وذا ولع واسع في مجالات كثيرة ، واشتهر من خلفاء العباسيين المنصور والمأمون بحبهما الواسع العلمي ورغبتهما في التطلع الى آفاقه البعيدة . ولا بد من ذكر السريان واسهامهم الكبير في حركة النقل عند الامويين والعباسيين ، الذين أنشأوا حضارة رفيعة ، تميزت بوضع علوم هامة أدت الى رصد الكواكب واختراع المزاويل . واللغة السريانية من اللغات السامية ولقد شرفت بأنها كانت لغة السيد المسيح عليه السلام . لقد كان الرسول العربي الأمين أول من وجه الى تعلم السريانية واقتباس العلوم من السريان . فقد جاء في الصفحة ١٦٥ من الجزء الأول من صبح الأعشى : « روى محمد بن عمر المدائني في كتاب العلم والدواة قول الرسول ﷺ لزيد بن ثابت :

« أتحسن السريانية ؟ قال لا ، قال : تعلمها فتعلمها زيد » .

ولا بد من القول هنا بأنه لولا صناعة الورق المحلية لما تمكن سوق الكتب من الرواج . حيث كانت هذه الصناعة من أجلّ الخدمات التي أسداها العرب والاسلام الى أوروبا ، ولولاها لما تم اختراع آلات الطباعة ذات الحروف المتحركة ، وكانت شاطبة مركز صناعة الورق في اسبانيا العربية الى فرنسا .

أدب الطب :

إن من أهم ميزات الطب عند العرب في القرون الوسطى هو كونه صناعة نبيلة لا يسمح بتعاطيها الا لمن حصل على خبرة واسعة في الطب . وأعد لذلك إعداداً علمياً وخلقياً . وقد اشترط حكام العرب على محترف المهنة الطبية أن يكون عالماً بالتشريح ملماً بعلم وظائف الأعضاء محيطاً بجميع العلوم التي لها صلة قريبة أو بعيدة بالطب وأخصها التشريح . ويستدل على عنايتهم به ما ذكرته بعض المصادر ، وهو أن يوحنا ابن ماسويه كان يُشَرِّح جثث القروء في قاعة تشريح خاصة بناها له الخليفة المعتصم على ضفة دجلة ، وكان الخليفة نفسه يساعده في الحصول على تلك القردة من بلاد النوبة . وقد جاء في أقوال الرازي ما يدل على اعتبار العرب معرفة التشريح أساساً لكل عمل طبي ، فقد تقدم منه طبيب ليجري له عملية في عينه فسأله الرازي عن طبقات العين وصفاتها وعددها فلم يحسن الاجابة فقال له : « لا حاجة لي بطبيب يقدر عيني ولا علم له بتشريح طبقات العين » .

ولا بد في هذه المناسبة من ذكر علي بن عمار الموصلي المولود في البصرة حيث تعلم فن الكحالة ومارسها في العراق . وفيها صمم واخترع الآلة الشهيرة (المقدح الأجوف) ثم سافر الى دمشق واجتذبه مصر فاستقر فيها . وقد استحدث عملية شفت الساد الطري بالمقدح الأجوف التي تعتبر نقلة نوعية كبرى في جراحة العين . وهو أول من كتب التقارير الطبية المفصلة عن عملية الساد . وقد شاعت عملية شفت الساد الطري فذكرها أطباء المغرب والأندلس كالزهراوي والقصري ، وكذلك الأطباء السوريون كسديد الدين بن رقيقة وخليفة بن أبي المحاسن الحلبي وصالح الدين الحموي وقد نسبوها كلهم لعمار الموصلي .

أما عنايتهم بعلم وظائف الأعضاء، فيلاحظ الباحث أثرها في أكثر كتبهم الطبية . أما عنايتهم بالمعالجة فكانت عظيمة الشأن حيث كانوا يعالجون بالوسائل الطبيعية فيعتمدون على الحمية والغذاء . فاذا لم يتيسر الشفاء اعتمدوا المعالجة بالأدوية المفردة فاذا استعصى الداء عالجوا بالأدوية المركبة .

وقد وضع العرب في أنظمتهم تشريعاً ينظم صناعة الطب عرفوا فيه بما للأطباء وما عليهم وقد جعلوا الاشراف على هذا التنظيم من واجبات المحتسب . قال الشيزري في هذا الصدد : للمحتسب أن يمتحن الطبيب ليعرف علمه من جهله وأن يختبره ليعرف درجة اتقانه للصناعة، وأن يأخذ على الأطباء عهد أبقرات ويحلفهم ألا يعطوا أحداً دواء مضرأ ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل ، وأن يفضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ولا يفشوا الأسرار .

أما أطباء العيون (الكحالون) فإن المحتسب كان يشرف على امتحانهم بمعرفة طبقات العين فمن كان عارفاً بتشريح طبقات العين السبع وعدد رطوباتها الثلاث ، وعدد أمراضها وأنواعها وما يتفرع من ذلك وكان خبيراً بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير ، اذن له بالتصدي لداواة أعين الناس . وأما الأطباء المجبرون فلا يحل لأحد منهم أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفة الصناعة أو أن يعلم عدد عظام الأدمي وصورة كل عظم منها وشكله وقدره حتى إذا انكسر منها شيء أو انخلع رده الى موضعه على هيئته التي كان عليها .

ويقول ابن سينا في خلع الفقرات : « إذا كانت الفقرة الأولى في العنق مات صاحبها في الحال لأن عصب التنفس ينضغط فلا يفعل فعله ، وإن كانت ، من الفقرات السفلية لم يمتنع التنفس ولكن يمتنع التبرز والتبول » وهذا كلام منطقي وعلمي ولافت للنظر في دقته .

وأما الأطباء الجراحون فيجب عليهم قراءة كتب الجراحة الباحثة في الجراحات والمراهم ، وأن يعرفوا أيضاً مقالة الزهراوي في الجراحة ، وأن يكونوا مطلعين على تشريح أعضاء الانسان وما فيه من الفضل والعروق والشرايين والأعصاب . ويطلب المحتسب من الطبيب أن يكون لديه جميع آلات الطب ، وجميع ما تحتاج

اليه مهنة الطبابة من أدوات وغيرها • وإضافة الى كل ذلك ، كان هناك مراقبة على الأطباء وكيفية فحصهم للناس (الفحص السريري) وكيفية مداواتهم وكيفية وصف الدواء والعلاج •

ولقد تعرض أدب الطب العربي الى صفات الطبيب فأوجزها علي بن رضوان بقوله : « يجب أن تجتمع في الطبيب بضع خصال وهي : أن يكون تام الخلق ، صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ذكوراً خيراً الطبع ، وأن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب • وأن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم وأن تكون رغبته في إبراء المرضى أقوى من رغبته فيما يلمسه من الأجر ورغبته في علاج الفقراء أقوى من رغبته في علاج الأغنياء ، وأن يكون حريصاً على التعلم والمبالغة في نفع الناس ، وأن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء ، والأموال التي يشاهدها في منازل الأعداء فضلاً عن أن يتعرض الى شيء منها ، وأن يكون مأموناً ثقة على الأرواح ، لا يصف دواء قتالا ولا يعلمه ، ولا دواء يسقط الجنين ، ويعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه » ويؤكد الطب العربي على ضرورة تشخيص المرض قبل اعطاء العلاج ، ويؤيد ذلك ما جاء في قول علي بن رضوان الآنف ذكره فقد قال : « إذا دعيت الى مريض فأعطه ما لا يضره الى أن تعرف علته فتعالجها عند ذلك » •

كما تميز أطباء العرب بالعزة والكرامة وبمتابعة الدراسة مهما علت منزلتهم ، من ذلك ما روى عن ابن المطران فقد قيل عنه أن كان يغلب عليه الزهو بنفسه والتكبر حتى على الملوك ، ولم يكن على شيء من ذلك ، في أوقات طلبه للعلم ، فاذا اقترب من الجامع ترجل وأخذ الكتاب في يده أو تحت ابطه بكل تواضع ولا يترك أحداً من الغلمان يصحبه ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيقعد بين الجماعة مستمعاً صامتاً صامتاً ، الى أن يفرغ الشيخ من القراءة ، ويعود الى ما كان عليه • وقد زعم الطب الحديث أن أول من عالج بالتخييل (علاج نفسي) هو الطبيب الشهير شاركو في القرن التاسع عشر • ويستشهد على ذلك بمعالجة فتاة جميلة أنيقة أصابها بكم نفساني عصي على المعالجة ولم يكن فيها مرض عضوي • وقد وضعها شاركو في مكان وجو مناسب

للايحاء ، وبعد أن سيطر عليها نفسياً أو همها بضرورة قص شعرها الجميل الذي كانت تعتز به كثيراً فصرخت عند الوصول الى قص الشعر وشفيت من بكمها .
لكن الواقع ان المعالجة بالتخيل والطرق النفسية المختلفة ، قد برع فيها الأطباء العرب منذ قرون . ومن ذلك ما روي عن نواذر أبي البركات هبة الله ابن ملكان ابن أوحّد الزمان قد عالج مريضاً في بغداد مصاباً بالسوداء (المالنخوليا) ونجح في علاجه النفسي نجاحاً ممتازاً ، كما ذكر الرازي شفاء عدة حالات نفسية عالجها بنفسه ، منها معالجة أمير بخارى الذي كان يشكو من آلام نفسية المنشأ أقعدته عن الوقوف والمشية ، وقد استعمل معه الرازي خطة معالجة نفسية ممتازة شفي بعدها ولا مجال لذكر هذه الحالات بالتفصيل لضيق الوقت .

ومن أقوال الرازي : « ينبغي للطبيب أن يوهّم المريض بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس » ، وتلك نظرة نفسية عميقة جداً تصدر عن طبيب قديم .

كما يخطيء الرازي أبقرط في قوله ان ماء الاستسقاء (Ascitis) يصل الى الرئة بسبب السعال ويصف الرازي هذا الرأي بأنه سمج ، كما يخطئه أيضاً في أن هزال الجسم يزيد من رواسب البول ويقول : « هذا رأي خطأ لا يجوز » . كما نرى ابن النفيس يخطيء جالينوس في زعمه أن هناك ثقباً بين البطين الأيمن والبطين الأيسر في القلب وانهما متصلان ، ويقول ابن النفيس انه لا اتصال بين البطين الأيمن والأيسر ، وان دم البطين الأيمن والأيسر لا يمتزجان إلا في الحالات المرضية . كما نرى البغدادي يصححها زعمه جالينوس من أن الفك السفلي عظمتان ، ويقول بل هو عظمة واحدة . كما صحح الجاحظ في كتاب الحيوان لأرسطو ، وأوضح فيه كثيراً من المثالب والأوهام الواردة عنده ، وسارع على نهج ما أتى به القرآن الكريم من حيث الاعتماد على تحكيم العقل وتربية التصور وأحكام التعبير ، وأعمال الحواس جميعاً لفهم حقائق الوجود ، لذلك عاش مع الحيوان الذي يريد الكتابة عنه ، ودرسه دراسة ميدانية مرئية مسموعة محسوسة .

ومعلوم أن ابن النفيس كان أول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية الصغرى ، وقد نقلها عنه الانكليزي هارفي ثم عزاها لنفسه ، وعمل سرافيتوس

الايطالي ما عمله زميله الانكليزي في سرقة آراء ابن النفيس وانتحالها لنفسه حتى أن العالم مايرهوف قال في هذا الصدد :

« إن ما أذهلني هو مشابهة لا بل مماثلة بعض الجمل الأساسية في أقوال سرفيتوس لأقوال ابن النفيس كأنها ترجمت ترجمة حرفية ، ويدعم هذا الرأي (الدوميلي) العالم المعاصر أيضاً ، وكذلك ليون بينه عميد كلية الطب في باريس . وقد وضع الطالب الباحث المصري محي الدين التطاوي سنة ١٩٢٤ الحقيقة عملياً عندما عثر في مكتبة برلين على مخطوطة ابن النفيس (شرح التشريح) فصحح هذا الخطأ وعرف العالم عندها أسبقية ابن النفيس وفضله في هذا المجال . أما الراهب سرفيتوس الذي انتحلها لنفسه ، بعد اكتشاف ابن النفيس لها بثلاثمائة سنة ، فقد نشر وصفاً لها في مجلته الدينية ، فلما بلغت هذه المجلة جون كالفين في سويسرا استدعاه الى جنيف وحاكمه واتهمه بالزندقة وحكم عليه بالحرق » .

أما معرفة السرطان ووصفه فقد ذكر أن الحكيم الجرجاني قام بوصف السرطان وتبعه بعد ذلك الطبيب المسلم ابن زهر في عام ١١٤٠ م حين وصف سرطان الحنجرة والمعدة . ثم قام رسام مسلم برسم لوحة ملونة في عام ١٢٣٠ م تصور أعراض السرطان . وإن أول من رسم صورة تشريحية للجسم البشري هو المنصور بن محمد في عام ١٣٩٦ م وقد وضح فيها أيضاً سرطان الحنجرة والمعدة . ويعتقد على هذا الأساس أن أول من أطلق اسم السرطان على الأورام الخبيثة في العالم هم الأطباء المسلمون .

كما عثرت المستشرق الألمانية فريدرون ، مصادفة وضمن مجموعة من المخطوطات ، على رسالة للرازي ، وهي مقالة في العلة يذكر فيها الرازي تعرض أبي زيد البلخلي للزكام والعطاس في فصل الربيع عند شمه للورد والأزاهر ، وبذلك انتبه العلماء الى أن الرازي كان أول من وصف الرشح التحسسي الربيعي في التاريخ الطبي .

ومن الآراء العلمية التي قال بها العرب أيضاً ونماها فيما بعد علماء الغرب قول أحمد بن يعقوب (الملقب بابن مسكوية) في أصل الانسان وتطور الحيوان قولا يشابه في بعض جوانبه ما قال به دارون وغيره من العلماء .

ما ذكرته هو غيض من فيض والشرح يطول ، لذا سأنهى بما قاله الكاتب
المعاصر هوكونيغ في كتابه مبادئ السياسة العالمية عند بحثه عن مستقبل الحضارة
العربية :

« إن الشغف العلمي الذي امتاز به العرب هو الجوع الباحث عن العلم وعمما
وراء الطبيعة التي تنتسب اليها كل الفلسفات ، هو الحضارة بعينها التي
يتغذى منها هذا الجوع ويهضمها ويمثلها ، هو التعاون المثمر بين مختلف الدهنيات
مع سعة العقل العربي وعشقه للحرية وللمثل العليا وتحرره من التعصب
والتزمت » .

★ ★ ★

أهم المراجع العربية :

- | | |
|---------------------------------------|--------------------------------------|
| ١ - القرآن الكريم . | ٥ - الحروب الصليبية كما رآها العرب - |
| ٢ - الأحاديث النبوية . | أمين معلوف . |
| ٣ - العرب والطب - الأستاذ المرحوم | ٦ - رحلة ابن جبير . |
| أحمد شوكت الشطي . | ٧ - ذيل تاريخ دمشق . |
| ٤ - مائة أوائل - الدكتور سهيل ذكّار . | |

★ ★ ★